أشهر الكبائر

ملخص المحاضرة الحادية عشر

علاء حامد
Alaa Hamed

الكبر داء إبليس

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، أما بعد، أهلًا ومرحبًا بكم في لقاء جديد مع هذه السلسلة الطيبة المباركة، يوجد كبائر خفية كخفاء الروح، وهذا موجود في كبيرة اليوم لأنها متعلقة بباطن الإنسان ولا يشعر بها وتظهر فقط في العلامات، وهذه الكبيرة هي آفة هذا العصر وهي أبغض الكبائر الباطنة عند الله عز جل على الإطلاق وقد قال الله عز وجل أنه لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة منها وهي كبيرة الكبر.

كبيرة الكبر

الكبر هو أبغض شيء عند الله عز وجل لأن الإنسان لا يليق به الكبر ولا يصلح له، فالكبر والتكبر هو صفة من صفات الله عز وجل فهو يليق به ذلك ومن حقه جل في علاه أن يتكبر لأنه المتعال والمتكبر بالفعل وليس به نقص ولا عيب، فالكبر في حقه كمال وفي غيره نقص سبحانه وتعالى، فالإنسان قد يكون كريم أو رحيم أو رؤوف مع اختلاف الكيفية ولكن لا يصلح أن يكون له صفة الكبر أو العظمة ولا حتى جزء منهما.

ففي الحديث القدسي -: **"قال الله عز وجل -:الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما قذفته في النار."**

تعريف النبيﷺ للكبر -:كان في البداية له قصة وهو عندما قال النبيﷺ:-**" لا يدخلُ الجنَّةَ من كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ مِن كِبْرٍ، ولا يدخلُ النَّارَ مَن كانَ في قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من إيمانٍ. فقال رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ، الرَّجلُ يحبُّ أن يَكونَ ثوبُه حسنًا، ونعلُه حسنةً، فقال رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ: إنَّ اللَّهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ، إنَّ الكِبْرَ مَن بطِرَ الحقَّ وغمَصَ النَّاسَ."**

بطر الحق أي رفضه وغمض الناس أي احتقارهم.

وفي الحديث:- **"احتَجَّتْ الجنَّةُ و النَّارُ فَقالتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمُتَكَبِّرِينَ والمُتَجَبِّرِينَ، وقالتِ الجَنَّةُ: ما لي لا يَدْخُلُنِي إلَّا ضُعَفاءُ النَّاسِ وسَقَطُهُمْ؟ و قالَ اللهُ للجنَّةِ أنتِ رحمَتِي أرحمُ بِكِ مَنْ أشاءُ مِن عبادِي وقالَ لِلنَّارِ: إنَّما أنْتِ عَذابِي، أُعَذِّبُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، ولِكُلِّ واحِدَةٍ منهما مِلْؤُها، فأمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ حتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنالِكَ تَمْتَلِئُ ويُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ، ولا يَظْلِمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ مِن خَلْقِهِ أحَدًا، وأَمَّا الجَنَّةُ فإنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُنْشِئُ لها خَلْقًا."**

وفي الحديث:- **"ما من رجلٍ يتعاظمُ في نفسِه، و يختالُ في مِشْيَتِه، إلا لقيَ اللهَ و هو عليه غضبانٌ"**

قال سفيان بن عيينة -: من كانت معصيته في الشهوة يرجى له التوبة فإن آدم عليه السلام عصى مشتيهًا فَغُفر له وأما من كانت معصيته بسبب كبر فإننا نخشى على صاحبه اللعنة والطرد من الرحمة وعدم التوبة فإن إبليس عصى مستكبرًا فلُعن.

سُئل سلمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة قال:- الكبر .

فالكبر مدمر للعمل ومحبط لكثير من العمل ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فإن كان الكبر أدى إلى الكفر فلن يدخل الجنة أبدًا وأما إن كان أدى إلى معاصي فقط فهنا معناها أنه لن يدخل الجنة من البداية فلا بد أن يتعذب الأول إلا أن يشاء الله.

من آثار الكبر

١ الكبر في أشياء فيها معاصي مثل المهرجانات والراب:- فتجد كل كلماتهما تقريبًا عبارة عن كبر وتغلغله بطريقة مرعبة، بجانب أن هذا الكبر تجده في فئة

ليس لديها مؤهلات تدفعها له مثل الأغنياء أو المهرة، فعندما يصل الكبر إلى هذه الفئة ويكون بهذا الشكل فكيف إذا وصل للفئة التي لديها دوافع له؟

والنبيﷺ قال -: **"ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمْ اللَّه يوْمَ الْقِيَامةِ، وَلاَ يُزَكِّيهِمْ، وَلا ينْظُرُ إِلَيْهِمْ، ولَهُمْ عذَابٌ أليمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، ومَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِل مُسْتَكْبِرٌ"**

فهذا العائل المستكبر أبغض من الغني المستكبر.

٢الكبر في الخلافات:- وتجده في الأشخاص التي لديها علم في باب معين وأحيانًا تجده في فئة المتدينين، فعندما يحدث خلاف تجد أحيانًا كبر في الجدال وهذا يظهر في طريقة الردود فتجد ردود فيها سخرية واستهزاء بالخَصم، فينبغي لكل طالب علم أن يتواضع للحق.

٣الكبر داخل البيوت:- فتجد الزوج مثلًا لديه كبر أو الزوجة أو الأولاد، فيصبح البيت جحيم.

٤الكبر داخل مكان العمل:- فتجد شخص قديم في المهنة يتكبر على شخص حديث في العمل.

٥الكبر في ردود أفعال الناس:- فتجد هذا الآن بشكل منتشر ويكون رد الفعل عنيف جدًا فهذا يدل على وجود بلونة كبيرة داخل الشخص وهي الكبر.

فهذا أبغض شيء عند الله عز وجل وهذا أول ذنب اتعصى به الله عز وجل عندما رفض إبليس أن يسجد لسيدنا آدم عليه السلام وهذا نتيجة للكبر الذي كان لديه، وتجد الكبر أيضًا سبب في هلاك أمم.

قال الله تعالى -:﴿**وَإِنِّي كُلَّما دَعَوتُهُم لِتَغفِرَ لَهُم جَعَلوا أَصابِعَهُم في آذانِهِم وَاستَغشَوا ثِيابَهُم وَأَصَرّوا وَاستَكبَرُوا استِكبارًا**﴾ [نوح: ٧].

فكان سبب هلاك بعض الأمم هو استكبارهم وعدم قبولهم رسالة الرسل.

مظاهر وعلامات الكبر

١ أن المتكبر لا يقبل المعارضة ولا النقد ويرى نفسه دائمًا على صواب ومن حوله على خطأ، فإذا وجدت ذلك فأنت متكبر.

الشافعي رحمة الله عليه كان إذا ناظر أحد يقول:- قولي صواب يحتمل الخطأ وقول خصمي خطأ يحتمل الصواب، وكان يقول:- ما ناظرت أحدًا إلا وددت أن يكون الحق معه، وكان بعد المناظرة يقول لخصمه -:يا أخي أما يصح وإن اختلفنا أن نبقى إخوانًا.

فأهل الإخلاص لا يبالون أبدًا أن يكونوا على خطأ حتى لو تم الاستهزاء بهم من قبل الناس فيما بعد، فهم يعترفون بأخطاءهم.

٢ لا يقبل النصح ويحرج أي حد ينصحه إما بالرفض الصريح أو الاستهزاء به وبقدره والأسوء من ذلك أن يبحث عن أخطاء هذا الناصح ويقوم بالاستهزاء به وأحيانًا يُلبس ذلك ثوب النصح فيتربص له خطأ لكي يقوم هو بنصحه، وهو هكذا لا ينصح لله بل ينتقم للنصيحة الأولى.

الأولى أن ننظر على أن هذا النصح هدية، رحم الله امريءٍ أهدى إليَّ عيوبي.

٣ يشعر أن الناس مقصرين في حقه دائمًا ولا يعطوا له تقديره أبدًا.

٤ أن يرى نفسه دائمًا أهلًا لإنعام الله عليه وأكثر من غيره أيضًا.

٥ رغبة خفية في معرفة عيوب الآخرين والتلذذ بذلك، وهذه موجودة بكثرة وهذا يتبعه تجسس وسوء ظن وغيبة.

لذلك كان الرجل من السلف إذا ذهب إلى شيخه يطلب العلم كان يقول:- اللهم أخفي عني عيب شيخي.

٦ أن يجد في صدره حذاذة إذا أُثني على غيره في وجوده خاصةً إذا كان قرينًا له.

الكبر سببه خلل في مصدر التقدير والشخص المتواضع قدره في نفسه هو قدره عند الله والتقييم لديه هو الله عز وجل.

الذي يرى أن الناس هم محور تقديره الكبر يكبره والتواضع يصغره والذي يرى أن الله عز وجل هو سبحانه وتعالى موضع تقديره الكبر يصغره والتواضع يكبره.

٧أن يجد الشخص في نفسه صعوبة في الاعتذار خاصةً لمن هم دونه.

٨أن يستأنف ويستعلي أن يجلس مع من دونه أو يُصاحب من هم دونه خاصةً لو فرق كبير.

النبيﷺ كان يقول -: **"اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ."**

سبب الكبر

١جهل الإنسان بالله.

٢جهل الإنسان بنفسه.

٣إهمال الإنسان عمومًا لتزكية نفسه من سماع الدروس والمواعظ وحفظ القرآن وتدبره وتدبر قصص الأنبياء وأحوال السلف..وما إلى ذلك.

٤الفردية أو إعراض الإنسان عن مخالطة من هم أفضل منه.

٥خطأ في التربية الحديثة وهي الدفاع المستمر للأولاد والتبرير ليهم وزرع الكبر فيهم بدون شعور.

٦كثرة الرفاهية بين الناس وأسبابها كثيرة لذلك كان النبيﷺ كان ينهى عن كثير من الرفاهية وكان لا يحب الرفاهية المبالغ فيها.

قال أحد السلف -:**ما دخل قلب امرئٍ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل أو كثر.**

على قدر الكبر الذي لديك يدل على نقصان عقلك.

علاج الكبر

❁ ١**معرفة الله حق المعرفة**، فمن عرف ربه حق المعرفة لم يتكبر قط، أنه الذي خلقه من العدم إذ لم يكن شيئًا مذكورًا، وعلم ربه بكمال عظمته وتكبره وعلمه وقوته وجبروته، وذلك من خلال معرفة أسماء الله وصفاته ومن السنة ومن القرآن سواء التدبر أو التفسير.

❁ ٢**أن تعرف نفسك**، وعلم الإنسان بحقيقته وأصل خلقته لا شك أن هذا فارق كبير جدًا في اكتسابه التواضع.

يقول الأحنف بن قيس-: عجبت لابن آدم يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين

❁ ٣**الإلحاح على الله بالدعاء أن يقيه الكبر وأن يقيه شر نفسه.**

فقد كان يقول النبيﷺ -: **"اللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ".**

❁ ٤**أن يخالط الإنسان من هو أفضل منه** خاصةً في المجال الذي يشعر فيه بالكبر.

❁ ٥**الإكثار من أعمال الخفاء**، فهذا يجعل الإنسان متواضع لأن أصل الكبر هو تقييم النفس عند الناس، فمن أَلِف العمل الخفي أَلِف أن يكون اعتباره بنظر الله فقط، مثل قيام الليل وأذكار وورد قرآن في الخفاء وهكذا...

❁ ٦**قارن نفسك بما هو أعظم منك من خلق الله.**

٧أن تذكر نفسك أنك مخلوق في احتياج دائم لا يسعه الكبر لأن المحتاج لا يتكبر.

٨تنزل عن مستواك بشكل دائم درجتين على الأقل وتكسر نفسك قليلًا لكي تدعم لديك التواضع.

٩معرفة شرف التواضع وأخبار المتواضعين، فمن تواضع لله رفعه والتواضع عز للإنسان وكان النبيﷺ أشد الناس تواضعًا.

١٠ أن يذكر الإنسان عدة أمور وهي -:

- أن المتكبر مهدد بسوء الخاتمة مثل إبليس.
- عاقبة المتكبرين يوم القيامة.
- مصارع المتكبرين في الزمان أين ذهبوا وكيف هلكوا.

جزاكم الله خيرًا

سبحانكَ اللهمَّ ربنا وبحمدك، أشهدُ أن لا إله إلا أنتَ، أستغفرك وأتوبُ إليك.